الفصل الثالث والعشرون

التالتة تابتة.. بعد ما انتهت الخدمة عليا.. أقصد بعد انتهائي من الخدمة بمدة.. وتصادف وجودي في المنزل وحيدا.. (العصرية).. أحسست ببعض التعب في قلبي.. ونغز بينقر في صدري.. ووجع بيرقص على جسدي.. وصلت للموبيل بالعافية.. وشديت ترانك وهاتفت مدير مستشفى الشرطة بمدينه نصر.. الأخ العزيز اللواء دكتور مصطفى الخولي.. وفوجئت بيرد عليا من أول مرة وده نادر الحدوث.. نظرا لأعباء ذلك المنصب وانشغاله الدائم والمستمر والطويل والعبء الثقيل.. وأنا مجرب لما كنت أجتمع به بمكتبه للحظات.. قائلا له كصديق: سيادتك هايل كطبيب.. لكن كضابط ومدير.. لا بد من إجاده أشياء كثيرة.. وأحضرت له دليل الوزارة الحديث.. وأعادت لمكتبه من السكرتارية خط الـBBX.. وقلت له يعمل إيه مع مديري المصالح والإدارات والمساعدين.. وكل شوية يغير فيهم اكس أو زيت أو يمونهم ببنزين..؟ .. وكنت أشاهد زحمة وتشابكات بين الخارج واللي آت من وإلى مكتبه من جميع البشر والنوعيات.. واللي يهمس في أذنه واللي بيشد كرافتته.. واللي يتعلق في البالطو الخاص بيه.. واللي قاعد على قزاز المكتب.. واللي أخد بوظ على مسند كرسيه.. واللي بيقدم البوسطه ليه ويبصمُه عليها.. واللي بيهمس في أذنه.. واللي ساند الهون (إيد التليفون).. وحاطتها على راسه وودنه الاتنين.. سيرك

مش.. مكتب مدير.. وقلت له سيادتك أحسن حاجة تدير بطريقة الدوبارة..؟

الحقني بيها يا معلم شطارة.. ازاي..! قلت تقعد بثقة وتركيز يا سيدي الماركيز.. وتدير بهدوء وتهييص.. وتلاعبهم وتشغلهم كمسرح العرائس بالخيوط المنظمة والمتينة..! وانتظمت الأمور.. وعشان كده رد عليا بالتليفون سريعًا أخي الأمور.. أهلا بيك سعيد باشا.. اسمع أنا قاعد في البيت لوحدي ولا تقولي باشا ولا حتى يوزباشي..! وأنا تعبان.. وابعتلي قوام سيارة الإسعاف.. وافتح غرفة العمليات اللي أنت كل شوية مأجرها للجيران..؟ خير فيه إيه يا باشا..! أنا فعلا تعبان وقلبي هفتان.. وبيدق دقه.. وبعدين ينام..! وأصحيه يقوم يبرطم ويرفص.. ويخبط في صدري.. ويقول مش شغال..! حالا سأرسل السيارة قوام..! قعدت نصف ساعة ولا حس ولا خبر كان..! إيه ده يا درش فين الإسعاف..؟ يا باشا محجوز في الاستاد عشان خدمة ماتش الكورة اللي حايحصل فيه شغب واللي الناس المشاغبين حاتتضرب..؟ أحسن حاجة يا باشا.. تطلب ١٢٣ يجيلك الإسعاف بـ٥٠جنيه ولو عايز تصييف في إسكندرية اضرب السعر في ميه..! طلبت الإسعاف.. حضر في خمس دقائق.. وأخذت الهاند باك بتاعتي وبها الترينيج والحلويات.. وغيار واحد.. زيت.. وأصريت آخذ ريموت التليفزيون.. عشان لما باسيبوا.. لوحده يقعد يقلّب

البيت..! رآني أحد جيراني سألني على فين..؟ مأمورية تفتيش على مستشفى الشرطة..! وصلت المستشفى في ربع ساعة وقبل ما أنزل من السيارة..! مسكني السائق والمسعف والمفتش وقلّبوني واخدوا الساعة رهن عشان الأجره وشيلة الهاند باك والبضاعة..! نزلت ماشي على رجليا.. وكانت الدنيا في (المغربية).. ودخلت على الاستهبال (الاستقبال) وأنا بكامل قوايا الجسمانية والعقلية..! واستقبلني طبيب مدني صغير نوبتجي محمد صلاح.. وقاس النبض ورسم القلب.. ثم رسم تاني في غرفة تانية.. قالي يلا يا باشا على فوق.. فين وليه.. غرفة الانعاش نعمل شوية فحوصات.. طلعت معاه على رجلي.. نام..! نمت وكانت هي النومة..! ولم أدر بشيء في الحياة الدنيوية.. وبدأت حياة أخرى تمامًا.. لا أستطيع تسميتها أو حتى من قبل شاهدتها..؟ لقيتني سابح في السماء مع كائنات لم أشاهدها من قبل نورانية بيضاء ذات بريق وضياء..! وأنا نائم وطائر ومستلقٍ باسترخاء..! على ظهري وبكل سرور وحبور وألاطة..! وحاطط رجل على رجل كإعلان دبدوب وكيمو وأنتيمو.. للأيس كريم..! والكائنات الضوئية.. محوطاني بالابتسامة والبهجة وشيلاني على كفوف الراحة..! وأنا في قمة السعادة والاستمتاع والاسترخاء..! وطاير وحالم وسعيد وفرحان..! ! آه والله العظيم..! هذا ما كنت عايش وحاسس بيه..! كنت مبسوط قوي وشعور غير مسبوق لبشر في

الأرض أو على السماء أو في الحياة ككل على الإطلاق من قبل أو بعد..! لأي إنسان في أي زمان وفي كل مكان في الدنيا وعلى كوكب الارض..؟ وكانت تجربة أشك أن يكون مرّ بها أحد من الناس..! وعاد مرة ثانية للحياة وللأرض حتى يحكيها للبشر..؟ ويريهم الله قدرته وعظمته في خلقه..! هذا ما كان يخص تجربتي في السماء والتي لا أعتقد حدثت بهذه التفاصيل لإنسان على كوكب الأرض منذ بدء الخليقة وللآن.. إلا في الأحلام.. وليس موتة في الحقيقة وليست أوهام.. ..! ما حدث في المستشفى وعلى كوكب الأرض لي.. فهوه أيضًا معجزة أكبر من الله مَنَّ عليَّ الله بها لتكون عبرة في الكون للبشر..! ماذا حدث..؟ ويا لها من أحداث..؟ حضرت زوجتي الفاضلة الكريمة الدكتور الجليله من السفر حيث كانت خارج البلاد..! فجر اليوم التالي للواقعة..! حيث كنت وحيدًا في المنزل وقت وقوع الأحداث..!

طب..! كيف عرفتْ وكيف وصلت..؟ كانت أثناء سفرها لإخوتها ووالدتها بخارج البلاد..! على اتصال مرتين يوميًّا صباحًا ومساءً بي للاطمئنان عليا نظرًا لأنني مقيم بالمنزل بمفردي..!

وأثناء اتصالها مساء بي دون رد.. قلقت بحاسة الأم عليا كابن..! وأجرت اتصالاً بالجيران إلى أن توصلت منه إلى أني استقليت سيارة أوبر (الإسعاف) للمرور والتفتيش على مستشفى

الشـرطة..! فعلـى الفـور اسـتقلت ليـلا السـاعة ٢ ص بتوقيـت الدولـة التـي كانـت بهـا في أول طيـارة (مـن موقـف أحمـد حلمـي بهـا) حضـرت إلـى القاهـرة ٧ ص.. ومنهـا للمستشـفى..! بعـد أن أتـى جـاري مسـاء للمستشـفي وصورنـي وأنـا علـى سـريري في غيبوبـة وعلـي جسـمي الكمـادات البـاردة لتخفيـض درجـة الريداتيـر المولـع والسـخن (جسـمي) والـذي كان علـى وشـك الانفجـار أو الاندثـار..؟ وأرسـلها للدكتـورة زوجتـي مسـاء الواقعـة..! فوجئـت زوجتـي عنـد وصولهـا ٧ ص للمستشـفى غلـق بـاب غرفـة الإنعـاش ووجـود جنـدي حراسـة علـى البـاب.. لمنـع الدخـول..!

قامـت كالكتكـوت المفتـرس بإرهـاب الضبـاط النوبتجيـه والقيـادات.. وإيقاظهـم.. بالسـكين والسـنجة والشـاكوش.. وتم فتـح بـاب غرفـة الانعـاش.. لإلقـاء النظـرة الأخيـرة عليـا..؟ وقيـل لهـا ان تُحَضِّـر إجـراءات فتـح المقبـرة والدفنـة والجنـازة..! واللّه هـذا مـا قيـل لهـا نصًّـا مـن الطبيـب النوبتجـي.. وأضـاف بقولـه الكلـى والكبـد متوقفـان تمامًـا.. والقلـب علـى الجهـاز.. والجسـم علـى الكانيـولا والمحاليـل وغيرهـا مـن المسـتلزمات الطبيـة.. والقسـطرات للمسـالك.. والتـي كانـت خاليـة تمامًـا.. إلا مـن عـروق وفـروع وخيـوط متشـعبة و صغيـرة مـن الـدم فقـط..! اسـتمر توقـف الكلـى والكبـد لمـدة تزيـد علـى أربعـة أيـام ووصلـت لليـوم الخامـس أي المـوت طبيًّـا وواقعيًّـا.. وأنـا علـى ذلـك الحـال..! وبـدأ اليـأس ينتشـر في الغرفـة

والمكان والنحيب والبكاء..! وأنا فوق مستهبل وسعيد ومبسوط في السحاب.. وأنا في عالم تاني ومش بأي شيء دريان..! وجاء ابني العزيز المهندس إسلام من الإمارات بالطائرة ودخل بها لحد بوابة المستشفى Top VIP.. وسلم عليا وهو بيبكي ويعيط.. وأنا باقول إيه اللقطه الدرامية ديه في السماء بتاعتي الحلوة والمفرحة؟.. ولقيتني باعيط لعياطه..! وأنا لسة سابح في سمائي..! وفي وسط الظلام دب نور الله (ويحيي العظام وهي رميم).. في مساء اليوم السادس بدأ الكبد في العمل.. واحتسبت مدة التوقف له (إجازة عارضة) وتم اعتمادها مني بالبصمة الوراثية من رجليا..؟ وتم نقل دم ليا خفيف.. عشان شكلي باخ وشاخ من الضحك والتقميز..! أما الكلى فكانت شقية شوية وطالت مده توقفها لمدة (٤٠)يومًا متواصلة وتم تحرير محضر غياب ليها وحولت لمحاكمة عسكرية ومحضر شطب من القوة (الجسمانية).. وكان كل يوم ياخذوني كالذبيحة على المقصلة وتصوير وفضيحة للغسيل الكلوي وتحولت رجلي لفيل.. قبل الغسيل.. ولغزال بعده.. ووجدوها.. بتتخن وترفع.. وترفع وتتخن..! واقترب اليأس من الكلى.. .. .. .وبدأ الدكتور الاستشاري.. .. .. . (أشرف دنيا).. يستدرجني.. لإجراء عملية لاخذ قطعة (فص)من الكلى لعمل عليها ملوخية.. وفحص بالتقلية.. لمعرفه سبب توقفها وهروبها لمسايستها وعلاجها.. .رددت بالإشارة.. على جثتي لأي تدخل لأخذ مني أي

حاجة.. يا كُلّي أروح عند ربي.. يا ربي بإذنه حايقعدني في الدنيا من غير ما ياخدوا مني حاجة بالتدخل الجراحي.. واللي عايزه ربنا حايكون.. وبإذنه واثق أنا إنه كله خير.. فلا تتعبوا نفسكم.. فيما ليس لكم..؟

كان أ.د.الاستشاري مدحت العوضي العظيم والجليل والنبيل صاحب الفضل عليا والذي لا ينسى.. متابعًا لحالتي المستعصية وفي لحظات إشفاق عليا.. وغضب من شيء ما.. صرح وباح.. بسر خطير وكان سبب.. ما وقعت فيه.. يا سعيد بك خد بالك كويس جدا.. اوعى حد يعطيك أو تاخد (مادة استربتو كاينيز).. دي سيئة السمعة وبنج حرام..! مهما كان وضعك متيقظ أو مبنج.. في علاج أو عملية..! لأن ذلك سبب ما حدث لك.. طب الست كاينيز دي لا أعرفها ولا حد من قرايبي جت منين..؟

جت من ننى العين الطبيب النوبتجي اللي استقبلني وأخدني مساء على غرفة الإنعاش.. قدَّر الله وما شاء فعل..! كانت الدكتورة زوجتي تدير وتشرف على إعطائي الدواء وحالتي الطبية بصفه عامة بالترتيب و الحسم والحزم مع جميع المسئولين من القيادات وحتى المرضين.. بالدفتر والمنافستو والقلم..! ولولاها بحق وبنعمة الله عليا بها..! ما كنت ولا عشت ولا شفيت ولا حييت.. شكرا حبيبة العمر وكل الحياة والدهر..! وجزاك الله

عني خير الجزاء.. يا هدية العمر ليا وجائزة السماء..! بعد ما تم اكتشافه من تسرب الست كاينيز..؟ .. والتي كادت تتسبب لي في مشكلة عائلية مع الدكتورة زوجتي وحبيبتي الجليلة.. وسألتني حبيبتي سؤال ذكي وخبيث..! مستغلة وجود روحي وانشغالها بالسماء مع الكائنات النورانية المضيئة..! أنت يا سيدي تعرف كاينيز منين ؟.. هو إن غاب القط.. لعب الفار..؟ أما ما حدث من وقائع تالية من مواقف وتسلسل لقصص وحكايات من توافد الكل عليا للاطمئنان..! وتواجد إحدى المريضات المسنات الفضليات والمجاورة لي في الغرفة من مواقف كوميدية وما كان من الممرضات..! فهو شيء آخر خليط من الضحك والمبكيات.. عافاكم الله وحفظكم يا أعز وأحب البشر والزملاء والأصدقاء.. من كل سوء وشر وأسبغ عليكم نعمته وعفوه وعافيته وستره وحماه.. أحبابي العظام .

●●●